112659 - هل يلزم أن يعذب الله المتبرجات بزينتهن من النساء ؟

السؤال

سؤالي عن مرتكب الكبيرة ، عندنا أنَّ أمره إلى الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، ولكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ... – حتى ذكر – نساء كاسيات عاريات... لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها) فسَّرها الإمام النووي رحمه الله : أنهن : إما مستحلات للفعل ، فلايدخلن الجنة أبدا . أو لا يدخلن الجنة في البداية ، ثم يدخلنها بعد أن يعذبن ، وهذا يقتضي أنهن لا بد أن يعذبن وهن من مرتكبي الكبائر ، فهل يمكن ألا يعذبن ؟

الإجابة المفصلة

مرتكب الكبيرة في عقيدة المسلمين على خطر عظيم ، فقد تعرض لغضب الله وعقابه ، إلا أنَّ مشيئة الله هي الحاكمة ، فقد يغفر الله له ويتجاوز عنه ، وقد يعذبه بقدر ذنبه ، إلا من بلغت معصيته حد الكفر بالله تعالى ، فإنه يستوجب حينئذ العقوبة والخلود في النار .
سئل شيخ الإسلام ابن تيمية – كما في "مجموع الفتاوى" (11/646) – :
" عن النساء اللاتي يتعمَّمن بالعمائم الكبار ، لا يرين الجنة ، ولا يشممن رائحتها ، وقد روي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة) ؟
فأجاب :
قد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صنفان من أهل النار من أمتي لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، على رءوسهن مثل أسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها عباد الله)
ومن زعم أن هذا الحديث ليس بصحيح بما فيه من الوعيد الشديد فإنه جاهل ضال عن الشرع ، يستحق العقوبة التي تردعه وأمثاله من الجهال الذين يعترضون على الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والأحاديث الصحيحة في " الوعيد " كثيرة :
مثل قوله : (من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يجد رائحة الجنة ، وريحها يوجد من مسيرة أربعين خريفا)
ومثل قوله الذي في الصحيح : (لا يدخل الجنة مَن في قلبه ذرة من كبر) .
ومثل قوله في الحديث الصحيح : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وفقير مختال)
وفي القرآن من آيات الوعيد ما شاء الله ، كقوله : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)
وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين ، أن " الوعيد " في الكتاب والسنة لأهل الكبائر موجود ، ولكن الوعيد الموجود في الكتاب والسنة قد بين الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يلحق التائب ، بقوله : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أي لمن تاب .

وقال في الآية الأخرى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

فهذا في حق من لم يتب ، فالشرك لا يغفر ، وما دون الشرك إن شاء الله غفره ، وإن شاء عاقب عليه .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما يصيب المؤمن من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا غم ، ولا حزن ، ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)

ولهذا لما نزل قوله : (من يعمل سوءا يجز به) ، قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ قد جاءت قاصمة الظهر وأينا لم يعمل سوءا ؟ فقال : يا أبا بكر ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأوى ؟ فذلك مما تجزون به .

فالمصائب في الدنيا يكفر الله بها من خطايا المؤمن ما به يكفر وكذلك الحسنات التي يفعلها . قال الله تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) فالله تعالى لا يظلم عبده شيئا كما قال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

فالوعيد ينتفي عنه : إما بتوبة ، وإما بحسنات يفعلها تكافئ سيئاته ، وإما بمصائب يكفر الله بها خطاياه ، وإما بغير ذلك " انتهى.

ولذلك يفسر العلماء كل آية أو حديث ظاهره خلود صاحب الكبيرة في النار بتفسيرات توافق نصوص الكتاب والسنة الأخرى .

يقول النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (17/191) :

" قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخلن الجنة) : يتأول التأويلين السابقين فى نظائره :

أحدهما : أنه محمول على من استحلت حراما من ذلك ، مع علمها بتحريمه ، فتكون كافرة مخلدة فى النار لا تدخل الجنة أبدا .

والثانى : يحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر مع الفائزين " انتهى.

وجاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (2/27) :

" السؤال : هل يجوز أن نعتقد كفر النساء الكاسيات العاريات لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) الحديث ؟

والجواب :

يكفر من اعتقد حل ذلك منهن بعد البيان والتعريف بالحكم ، ومن لم تستحل ذلك منهن ولكن خرجت كاسية عارية فهي غير كافرة ، لكنها مرتكبة لكبيرة من كبائر الذنوب ، ويجب الإقلاع عنها ، والتوبة منها إلى الله ، عسى أن يغفر الله لها ، فإن ماتت على ذلك غير تائبة فهي تحت مشيئة الله كسائر أهل المعاصي ؛ لقول الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) " انتهى.

وجاء فيها أيضا (17/104) :

" من استحل منهن ذلك اللباس فهن كافرات مخلدات في النار إذا متن على ذلك ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن لبسن ذلك اللباس مع اعتقادهن تحريمه فقد ارتكبن كبيرة من كبائر الذنوب ، لكن لا يخرجن بها من ملة الإسلام ، وهن تحت مشيئة الله : إن شاء الله غفر لهن ، وإن شاء عذبهن مما ارتكبن من السيئات ، فلا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها إلا بعد سابقة عذاب .

وهذا مذهب أهل السنة ، وفيه جمع بين نصوص الوعد والوعيد ، وهو وسط بين مذاهب المرجئة والخوارج والمعتزلة.

ويقول الشيخ ابن باز – كما في "مجموع فتاوى" (6/356) – :

" أما قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) فهذا وعيد شديد ، ولا يلزم من ذلك كفرهن ولا خلودهن في النار

كسائر المعاصي إذا متن على الإسلام ، بل هن وغيرهن من أهل المعاصي ، كلهم متوعدون بالنار على معاصيهم ، ولكنهم تحت مشيئة الله : إن شاء سبحانه عفا عنهم وغفر لهم ، وإن شاء عذبهم ، كما قال عز وجل في سورة النساء في موضعين : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ، من دخل النار من أهل المعاصي فإنه لا يخلد فيها خلود الكفار ، بل من يخلد منهم كالقاتل والزاني ، والقاتل نفسه لا يكون خلوده مثل خلود الكفار بل هو خلود له نهاية عند أهل السنة والجماعة ، خلافا للخوارج والمعتزلة ومن سار على نهجهم من أهل البدع ؛ لأن الأحاديث الصحيحة قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دالة على شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل المعاصي من أمته ، وأن الله عز وجل يقبلها منه صلى الله عليه وسلم عدة مرات ، في كل مرة يحد له حدا فيخرجهم من النار ، وهكذا بقية الرسل والمؤمنون والملائكة والأفراط ، كلهم يشفعون بإذنه سبحانه ، ويشفعهم عز وجل فيمن يشاء من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بمعاصيهم وهم مسلمون ، ويبقى في النار بقية من أهل المعاصي لا تشملهم شفاعة الشفعاء ، فيخرجهم الله سبحانه برحمته وإحسانه ، ولا يبقى في النار إلا الكفار فيخلدون فيها أبد الآباد كما قال عز وجل في حق الكفرة : (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) ، وقال تعالى : (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) ، وقال سبحانه في الكفرة من عباد الأوثان : (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، نسأل الله العافية والسلامة من حالهم " انتهى.

فالحاصل أن المرأة المتبرجة مع تعرضها للعقاب الأليم عند الله عز وجل ، إلا أنها تحت مشيئة الله تعالى ، قد يغفر لها فلا يعذبها ، وقد يعذبها العذاب الشديد ، مع أنه لا بد أن يدخل النار من يدخلها من عصاة المؤمنين ، كما تواترت بذلك الأحاديث .

وانظر جواب السؤال رقم : (14627) ، (9924)

والله أعلم .